كوتولنكو

أو عجائب العناية الالهية

بقلم حضرة الخوري مارون غصن استاذ الخطابة في كليتنا

في اليوم التاسع والعشرين من شهر نيسان سنة ١٩١٧ ، أشرقتْ فوق كرسي زعيم الرُسل في كنيسة القديس بطرس الكبرى برومةَ العظمى ، طلعةُ طوبويّ جديد محاطةً بهالات التكريم والتعظيم . وما تلك الهالات سوى رمزٍ يرمزُ إلى ذلك المجدِ الدائم ، الذي حازه يوسف مبارك كوتولنكو (Cottolengo) امام الله والناس

فإنّ ذلك العمل الخيريّ العجيب الذي أنشأهُ كوتولنكو في الجهة الجنوبيّة من جبال الألب ، قد ذاع صيتهُ واشتهر ، حتى أنّ كلّ من زار مدينة تورينو لا يتمالك عن أن يقف أمام ذلك العمل دَهِشاً حائراً

ففي تلك المدينة الغاصّة بالاشغال التجاريّة والسياسيّة ، وفي وسط مقاطعة بيامونتي (Piémont) المشهورة بالزراعة والصناعة ، وأمامَ هاتيك الابصار المتنبّهة والعقول المنصرفة بكلّ قواها إلى الامور المادّية ، وأمام المتّكلين على العناية البشريّة وحدها ، أنشأ كوتولنكو ملاجئَ خيريّة تضمُّ الآن بين جدرانها ما ينيف على ثمانية آلاف شخص ، تعولهم العناية الالهية وتفيض لهم القوت اليومي

فلا بدع إذا لقّب الناسُ ذلك العمل العجيب بالاعجوبة الدائمة . فانّ الله لا يزال يصنع في تلك المآوي الخيرية في كل يوم عجائبَ ثلاث : اعجوبةً ماليّة تُجري الرزق على سكان اولئك الملاجئ يوماً فيوماً ، بمالٍ لا يدرون من أين أتى ، ولا ممّن أتى ، ولا كيف أتى . وأعجوبةَ سلامٍ دائم يُرفرف فوق تلك الجماهير . وأعجوبةَ رحمةٍ عجيبة لم تستطع الحربُ الكونية أنْ تخفّفَ تُجراها . وبينما كان العالم أجمع ايام الحرب الاخيرة في شدّةٍ وضيق ، كان هؤلاء الفقراء في رَغَدٍ وسعة ، فلم يذوقوا غير خبز الحنطة ولا أعوزهم شيء قطّ

الطوبوي يوسف مبارك كوتولنكو

(١٨٤٢–١٧٨٦)

فهيا الآن ايها القارئ الكريم ، لنطلعك على الاعمال التي أنشأها الله بواسطة عبده كوتولنكو فترى اذ ذاك عجائب العناية الالهية

١ نظرة عامة

يرى الناظر الى ضاحية من ضواحي مدينة تورينو حيًّا غريب الشكل ، أو قل مدينةً ، بُنيتْ حيالَ تلك المدينة الكبيرة ، يُنيفُ عددُ سكّانها على ثمانية آلاف شخص ، في مساحةٍ تبلغ مائتي الف متر مربع . وقد أحاط بذلك الحيّ سورٌ ضخم ، لا أعمدة فيهِ ولا أَزوقة ولا مخازن . فمنده تنتهي أبنيةُ تورينو المشيدة على شكل هندسيّ بديع . لكنّ الزائر لا يصل إلى ذلك البناء الكبير حتى يقف ويقول : تُرى أحصنٌ هذا . . أم معمل . . أم دير ؟ فإنّ هذه المدينة السرّيّة قد ارتفعت جدرانها وبدتْ بمظهر يرى الغريبُ فيهِ لغزًا وأُحجيّة

وليس لهذا البناء اسمٌ يدلُّ على شيء عظيم ، فقد دعوهُ باسم « كوتولنكو » ، وقد يختصرونهُ ويقولون « كوتو »

وما يوسف كوتولنكو هذا سوى اسم كاهن وضيع ، وُلد سنة ١٧٨٦ في مدينة « برا » (Bra) من مقاطعة « بيامونتي » ، ومات في مدينة كياري (Chieri) . وكان قانونيًّا في رعية اسمها جسد الرب (Corpus Domini) . ولم يكن لهذا الكاهن صيتٌ عريض وشهرةٌ واسعة ، لكنّهُ خلّف بعد موتهِ أعمالًا عظيمة نشرتْ ذكرهُ إلى البعيد . وقد بحثتِ الكنيسة المقدّسة عن حياتهِ واعمالهِ ، فأثبتتْهُ بين الطوبويّين ورفعت تمثالهُ فوق المذابح

لكنّ هذا الرجل العجيب ، الذي ضارع بإيمانهِ آباء العهد القديم ، لم يكن يرضى قطُّ بأنْ يُذكر لهُ اسمٌ ، بل كان يودُّ ابدًا أنْ يتوارى في ظلّ ذلك القديس الشهير منصور دي پول مثال الرحمة للاجيال المتأخرة . ولذلك دعا عمله الكبير باسم حقير فوسمهُ بالبيت الصغير (La Piccola Casa)

والبيت الصغير هذا ، كما سبق القول ، اشبه بمدينة ، قد اشتملت على حدائق ومعامل ومدارس ومآوٍ ومتاسك وأديارٍ راهبات ممرّضات ، ومستشفى للشيوخ العاجزين ، ومنازل للمجانين والبُلْهِ والعُرْج والصُمّ والعميان ، ومياتم ومدارس

اكليريكية، وردهات واسعة لايواء كلّ من نزل به شقاء، ولاسيما لمن كانت حالتهم أدعى إلى النفور والاشمئزاز فأهملهم الناسُ وخذلوهم

وإنّ القلم ليعجز عن وصف ذلك البيت الصغير، وعن كيفيّة قيامه ونموّه المتواصل السريع منذ ٩٠ سنة ونيّف إلى الآن. فهو امرٌ لا تقوى يدُ بشريّة على النهوض به، لأنّ ذلك البيت الصغير، او قُلْ تلك المدينة الواسعة، ليس لها دخلٌ ماليّ أصلاً، ولا عقار ولا مرتّبات ولا جمعيّات خيريّة منظّمة تسعى لمساعدتها، فهي لا تعيش إلّا من صدقات تدرُّ عليها من غير طلب ولا سؤال، وقد تبلغ تلك الصدقات في بعض الاحايين مبالغ وافرة فتُنفَق كلُّها ولا يُؤذَنُ في استبقاء شيء منها

وليس لهذه «المدينة السريّة» موردٌ خاص من اشغال سكّانها، وما فيها إلّا كلُّ مريض وعاجز. واي نتيجة ماليّة تحصلُ من تلك الايدي الضعيفة التي تقومُ ببعض الخدم البيتيّة اليسيرة، من مثل تنقية الحبوب والخُضَر وإصلاح الثياب وترقيعها، بينا أنّ نفقات تلك الملاجئ الخيريّة في كلّ عام تزيدُ على ثلاثة ملايين فرنك

وليس أيضاً في هذه المدينة صناعةٌ سوى صناعة الصلاة ليل نهار، صلاةٌ سداها طلبُ القداسة فقط ولُحمتُها الشكر. وفي إزاء هذه المعامل الروحيّة معمل آخر لا بدّ للهيئة الاجتماعيّة منهُ، فيه تُمارَس الإماتات المسيحيّة تكفيراً عن مآثم البشر. وهنالك أيضاً ديرٌ تخصّص بترتيل الفروض الالهيّة على مثال الجمعاء القديسين القدماء.

ولكم من زائر وقف أمام تلك المنازل الخيريّة حائرًا مدهشاً، ولسانُ حاله يقول: حقًّا ما هذا عملُ بشر!..

ولما بلغ شارلَ ألبر ملك سردينية خبرُ اعمال كوتولنكو تأثّر كلّ التأثّر، وحملتهُ الغيرةُ على أنْ يكون لذلك المؤسّس الوضيع مُعيناً وعضُداً، فاستقدم كوتولنكو وقال له: أودُّ يا حضرة الاب أن تجعل ملاجئك هذه تحت حماية حكومتي، وأنا مستعدٌّ لابذل وُسعي في إعانتها. فاضطرب كوتولنكو وقال: إيذن لي يا مولاي أن اقول لك، إني قد سبقتُ وجعلتُ البيت الصغير تحت حماية مريم العذراء ورعاية العناية الالهيّة، فلا يسعني أن أعود فانزعهُ منها، لأجعلهُ تحت حماية الحكومة!

وكان كوتولنكو يخاف كلّما زارَ البيتَ الصغيرَ أميرٌ أو رجلٌ عظيم. وكان يقول: أخشى أنْ تقتاظ العنايةُ الالهيّةُ من تصرُّف العنايةِ البشريّة

هذا ولا نكتمُ القراء الكرام، انّنا كنا قد نوينا إطلاعهم على جميع تلك الاعمال الباهرة، التي انشأها رجل الله، فاستقبلنا العجز عن الاحاطة بجميع ذلك، ورأينا انّ الامر يقتضي مجلّدًا ضخماً لا تسعهُ هذه المجلّة مع كبر حجمها، فاجترأنا بتلخيص شيء من تلك المؤسّسات التي كتب عنها مؤرّخون صادقون، زاروا ذلك البيت الذي دعاهُ كوتولنكو صغيرًا، وشاهدوا ما فيهِ من الاعمال المدهشة الناطقة باعاجيب العناية الالهيّة

ولما كانت ابواب هذه اللاجيّ لا تزال مفتوحةً في وجه كلّ زائر، رأينا ان نسير بالطالع الكريم لزيارة ذلك البيت الصغير العجيب

٢ القنطرة الحمراء

هلمّ ايها القارئ الكريم نبدأ بزيارة اقدم محلّةٍ في وسط مدينة تورينو، حيث نرى كنيسة جسد الرب التي شيّدها سكان تورينو، تخليدًا لذكر أعجوبة باهرة صنعها القربان المقدّس. وهي انّ اللصوص دخلوا ذات ليلةٍ احدى كنائس المدينة، وسرقوا كلّ ما فيها حتى حُتَّ القربان، وجعلوا جميع ذلك في اكياس وفرُّوا بها. ولمّا وصلوا الى احدى ساحات البلدة، تحرّكت اجزاء القربان المقدس، وفُتحت الاكياس فطارت في الفضاء، وبقيت محلّقةً في الجوّ حتى اقبل الكهنة في جمع غفير وطواف حافل. ولمّا بلغوا المكان المذكور، سجدوا كلّهم ورفع الكهنة بايديهم كؤوساً مقدّسة فنزلت جميع اجزاء القربان رويدًا رويدًا واستقرّت فيها. وكان ذلك في اليوم السابع من شهر حزيران سنة ١٤٥٣

هذه هي الكنيسة العجائبيّة، التي عُيّن فيها يوسف كوتولنكو كاهناً برتبة قانوني (Chanoine) سنة ١٨١٨

ففي مساء احد ايام ايلول من سنة ١٨٢٧، وصلت الى تورينو امرأة فقيرة حبلى، وهي مصابة بمرض مخطر، فقرعت ابواب مستشفيات المدينة، فلم تجد محلًا، فجرّت نفسها الى فندق حقير حيث ماتت بعد قليل

وكان كوتولنكو قد اسرع الى هناك، ليساعد المريضة المسكينة ويمنحها الاسرار الاخيرة. ولمّا رآها، وقد ماتت على تلك الحال، بلغ منه التأثر، ولاسيما حين

شاهد صغارها من حولها ينوحون ويبكون ، وزوجها يردد ويقول : أفي مدينة مسيحيَّة كمدينة تورينو لا أجدُ سريراً لامرأتي المسكينة !

فمن تلك الساعة عزم كوتولنكو ان يستدرك الامور ويتلافى باسرع ما يمكن وقوع امثال هذه الفواجع

ولمَّا كان المساء أطلع رفقاءهُ الكهنة على ما كان ، فتأثروا كلُّهم ونشَّطوه على عزمهِ وسلَّموا اليهِ القيام بهذا العمل المجيد

وكان ازاء كنيسة جسد الربّ بيتٌ مؤلَّف من ستّ طبقات ، وفي مقدَّمهِ قنطرة مصبوغة بلونٍ احمر ، ما جعل الناس يطلقون على ذلك البناء لقب القنطرة الحمراء (La Volta Rossa) . فاستأجر كوتولنكو غرفتين هنالك ، وأقبل اليهِ رجلٌ صالح من تورينو اسمهُ توما رولاندو ، قدَّم نفسه لمساعدة رجل الله ، وأسرع فحمل على ظهرهِ الاربعة الاسرَّة الاولى لعلاج اربعة مرضى

واخذت العناية الالهيَّة تبسط يدها الى هذا "البيت الصغير" كما كان يدعوه كوتولنكو ، فحمل اليهِ شيخٌ مخلَّع ، فاستشفاهُ السيد يسوع بكل بشاشة وفرح ، وسمَّاه "حجر الزاوية" ، وكان ذلك في [illegible] ١٨٢٧

وكان كوتولنكو وصديقهُ رولاندو ينقلان عن المرضى المهتلين ليأتيا بهم

وفي ذات يوم قال كوتولنكو لرولاندو : انا عارف أيها الصديق الحبيب انك تحبُّ الخمر الجيِّدة ، فها انا اهدي لك منها قنينةً كبيرة ، فهيَّا الى شارع "مونكالياري" فتجد هناك مريضاً بائساً ينتظرك ، فكن كالرفّ عادتك بشوشاً لطيفاً واحملهُ الى القنطرة الحمراء بكلّ نشاط وهمَّة

وما هو غير حين حتى عاد رولاندو والعرق يتصبَّب من جسمهِ ، وبعد أن القى المريض على السرير أخرج منديلهُ واخذ يمسح العرق عن وجههِ ويقول : لله من خمرةِ هذا القانوني ، ما أطيبها ، لكني اراها مخالفةً لكل الخمور ، فانها تخرج من البدن بدلًا من أن تدخل فيهِ ، ومن محاسنها انها لا تصعد الى الرأس أصلًا

وأخذ هذا العمل يزدهر مسرعاً ، حتى اصبح المستشفى بعوزٍ الى مساعدين . فتقدمت عشر سيدات من تلقاء أنفسهنَّ ، وتعهَّدن بخدمة المرضى مع المحافظة على أعمال بيوتهنَّ . لكن ذلك لم يكن كافياً لحاجات المستشفى ، فاخذ كوتولنكو يسعى

لتأسيس عمل كان يفكر فيه منذ زمان ، وهو ان يُنشئ على مثال القديس منصور دي بول جمعيّة ممرّضات . فساعدتهُ في هذا العمل سيّدة فاضلة تُدعى ارملة نازي (Nasi) ثمَّ انتظم في هذا السلك عدَّة فتيات دعاهنَّ كوتولنكو بنات القديس منصور . امَّا الشعب فكان يدعوهنَّ بنات كوتولنكو

وكان الطوبويّ كلّما فرغت غرفة من تلك الدار الكبيرة ، أسرع الى استئجارها حتى استولى على معظم مساكنها . وكان الاطباء والصيادلة يتسابقون الى تطبيب مرضاه ومداواتهم مجّاناً

وكان أصحابهُ يحاولون ان يثنوا عزمهُ عن مواصلة هذا العمل ، حتى انَّ الكهنة رفقاءهُ في كنيسة جسد الربّ ورئيسهم الشانوان ڤالّتي (Valetti) أصبحوا في خوف من ان يعجز كوتولنكو عن القيام بنفقاته الكثيرة . امَّا رجل الله فلم يكن يهتمُّ للحال ، وكان كلّما قالوا لهُ انَّ الديون تتكاثر علينا يبتسم ويقول : « لا تخافوا ، فانَّ الله عارفٌ بيوم استحقاقها ، وإنَّ العناية الالهية ساهرة على مَرْضانا ، فلن يعوزهم شيء » . وحقيقة الامر انَّ العناية الالهية كانت عند الحاجة تسرعُ الى اعانته باساليب مدهشة عجيبة

ففي سنة ١٨٣١ حدث ان انتشر الوباء المعروف بالهواء الاصفر ، وأصبحت مدينة تورينو في خطر منه . فاضطربت فيها الخواطر ، واقبلت الحكومة تنظر في الاماكن التي يُخشى من ان تكون سبباً في وصول الوباء . فوجدت ان محلَّة القنطرة الحمراء ليست من النظافة على ما يُرام ، وان هنالك مستشفى للمرضى ، فأمرت باقفاله حالاً . وارسل وزير الداخلية بالامر الى رئيس كنيسة جسد الربّ ، فأسرع هذا واستقدم كوتولنكو وقال له : كم مرَّة قلت لك انَّ مستشفاك هذا سيكون لنا منهُ اضطراب وقلق ، فخذ واقرأ . قال ورفع اليه صورة الامر ، فقرأه كوتولنكو ولم يتلعثم أقلَّ خوف . ولمَّا انتهى منه التفت الى رئيسه متبسّماً وقال : « يا ابتِ الجليل ، ان كلامك هذا يدلُّ على انك لستَ مثلي من قرية « براء » ، وانك لا تعرف شيئاً من اصول زراعة الملفوف . امَّا أنا فهذه البلدة وطني وقد طالما سمعت الناس فيها يقولون ، انَّ الملفوف اذا نُقل من محلّ الى آخر ، غا وأخصب والتفّ . وانا أرى انَّ العناية الالهية تريد ان ننقل هذا المستشفى الى غير مكان ليتمو ويزدهر » . فنُقلت المرضى من القنطرة

الحمراء ، ووُزّعت على عدة مستشفيات

وكان بعد أيام ، أن لقي كوتولنكو في الطريق فتاةً فقيرة في الثانية عشرة من عمرها ، وقد تخلّى عنها اهلها . فقال لارملة نازي : ما اكثر البنات اللواتي في هذا العمر وفي هذه الحالة ، وما اشدّ الاخطار التي يتعرّضن لها . ثم تبسّم وقال : «انّ غُرَفنا في «القنطرة الحمراء» قد اصبحت فارغة ، ولا يجمل بنا ان نؤدّي كراءها وهي خاوية خالية . واني ارى انّ العناية تُرسل الينا مستأجرين في هؤلاء البنات ، وأحسبُ انّ هذه الفتاة الصغيرة ستكون حجر الاساس لعائلة جديدة» . وما مرّ على هذا الكلام حين حتى اصبح عددُ هذه العائلة الجديدة ١٢٦ بنتاً

ثم اتّخذ رجل الله غُرفاً جديدة في نزلٍ يخصّ ارملة نازي . وكان لا يزال عنده في «القنطرة الحمراء» غُرف فارغة . فأنشأ ملجأين جديدين لصغار اولاد العملة : فكان يبقيهم في النهار عنده ويقوم بمعاشهم الروحي والجسدي ، وعند المساء يُعطي كلّ صغير منهم قطعة خبز كبيرة ، ويعود به الى اهله . فنجح هذا العمل الجديد وتفرّعت منهُ اعمال جديدة

ولمّا رأى الطوبوي انه لم يعد له ما يشغل رضى في منازلهم ، اخذ يزورهم في منازلهم ويخدمهم ويسهر على راحتهم . فمنّ لهُ من ذلك خاصرٌ جديد ، وهو ان يُنشئ جمعية اخوات ممرّضات يَعُدن المرضى في منازلهم . وكان رولاندو الامين يبحث عن اماكن البيوت ، وكوتولنكو يفحص عن حالتها الادبيّة ، حتى اذا رأى أن لا خوف على الممرّضات أرسلهنّ اثنتين اثنتين . وكان رولاندو يُسرج قنديلهُ ويسير امامهنّ في الطرق المظلمة ، وكان لا يتأخّر ايضاً عن مرافقة معلمهِ في امثال هذه الدورات

وقال لهُ كوتولنكو يوماً : انا لا أُريد يا رولاندو ان تتشكّى مني ابداً ، فانك رجلٌ نشيط ، طيب السريرة ، ولك عندي مقامٌ ومعزّة ، لذلك رأيتُ أن أُهدي اليك ايضاً قنينة من اجود الخمور . وكان رولاندو قد عرف ما خمرة معلّمهِ . فخرجا وعلى اكتافهما أحمالٌ ثقيلة ، حتى وصلا الى بيت خَرِب ، فقال الطوبوي : هاك الحجارة ، فاصعد على هذا السلّم الخشبي ، فتجد في هاتيك الغرفة الحقيرة عائلةً مسكينة ، فأعطها هذا . . وهذا . . وهذا ايضاً

وقد أخبر رولاندو المذكور ان رجل الله كان يسيرُ بهذا السير مراراً في الاسبوع ،

وأحياناً في كل يوم، فيتوجهان الى العائلات المستورة ويفرجان كربتها

وكان كوتولنكو يطلب من الفقراء المساكين أن يؤدّوا اليه ثمن ما يأتيهم به، ولم يكن ذلك الثمن الّا صلاة الشكر للعناية الالهية

وأوحى الله الى عبده كوتولنكو قبل ارتقاء بيوس العاشر الى عرش البابوية بنصف قرن، ان ينشر التناول اليومي ويقوت الاحداث بخبز الحياة. وكانت الاربع والثلاثون عائلة، التي اواها كوتولنكو في «البيت الصغير»، تتناول القربان المقدس في كل يوم

ورتّب كوتولنكو ايضاً عمل السجود للقربان من الصباح الى المساء، وكان ذلك فاتحةً لسجود دائم انشأهُ رجل الله في البيت الصغير

وانّ في كنيسة جسد الرب صورةً جليلة مؤثرة، تُدعى «سيدة النعمة»، تمثل البتول العذراء وهي ترضع طفلها. فامام مذبح هذه السيدة، كان الله يُلهم عبده كوتولنكو ان يؤسس اعماله المجيدة. وامام تلك القنطرة التي لا تزال الى الآن حمراء، يَرَى الزائرُ رُخامةً بيضاء، كتب عليها ما ترجمته :

« في هذا المنزل ابتدأ يوسف كوتولنكو وأسّس باربعة أسرّة بيت العناية الالهية الصغير سنة ١٨٢٨ »

(جمعية المسلة في تورينو سنة ١٨٨١)

فلا يقرأ الزائرُ هذا الاثر العهيد حتى يرى فيهِ ذكرًا مؤثرًا

امّا في أيامنا هذه فقد انتقلت تلك العناية العجيبة الى مكان آخر. وما إخالُ القارئ الكريم يتأخرُ عن زيارته. فهيّا بنا اذن الى خارج المدينة، حيث نرى هذا المحل الجديد في ضاحية « وادي الشهداء »

٣ وادي الشهداء

اذا خرج الزائر من بيت « القنطرة الحمراء »، واتّجه الى ناحية اسوار تورينو في الجهة الشمالية الغربية، أطلّ على منخفض من الارض فسيح، يُدعى «وادي الشهداء» (Le Valdocco) ورأى في هذا الوادي ابنيةً شاهقة ومنازل عديدة، جاور بعضها بعضاً، فكانت أشبهَ بمدينة عامرة

وقد طالما سالت دماء المسيحيين في ارجاء هذا المنخفض ، ايام كان الاضطهاد يحصد المسيحيين حصداً . ولذلك لقّبوه بوادي الشهداء

وقد تقلّبت الاحوال بهذا الوادي ، فكان قبل ابتناء هذه المدينة فيه ضيعةٌ صغيرةٌ ، فيها بضعة بيوت حقيرة وحانات وضيعة ، ينتابها الاوباش والسكارى . لكن الدماء المقدّسة ، التي سُفكت فيه في سابق العصور ، أبتْ ان يبقى هذا المكان المقدّس موردًا للفجور والقبائح . وكأنّ الله اوحى الى عبده كوتولنكو ان يغادر « القنطرة الحمراء » وينتقل ببيته الصغير الى هذا المكان ويؤسّس فيه من جديد بيت العناية الالهية ، فيعيد الى « وادي الشهداء » سابق عطره وغابر مجده ، ويُصبح «البيت الصغير» عظيماً كبيراً

فاستأجر رجل الله في « وادي الشهداء » بيتاً فيه غرفتان واصطبل . ولم يكن للحكومة ان تمنع كوتولنكو من جعل هذا البيت مأوى للمرضى ، لانهُ بعيدٌ عن المدينة ولا خوف لها منهُ . وكان ذلك في ربيع سنة ١٨٣٢

منازل العناية الالهية في وادي الشهداء

وبعد أيام جاء ألبر اخو نطوبري . فلما رأى هذا المستشفى الجديد التفت الى أخيه وقال : أراك وقد عُدتَ الى تأسيس المستشفيات ، فكأني بك تعرّض نفسك ثانيةً لهزء الناس وسخريتهم . فاجابه كوتولنكو : أجل يا اخي ، ثم اشار بيده الى تلك الارض الروحيّة وقال : كأني ارى هذه الساحة الفيحاء وقد تغطّت بمنازل العناية الالهيّة

ولما كانت هذه الضيعة ملجأ الفجّار والسكارى ، غضب هؤلاء لمجيء كوتولنكو وراهباته ، فاقبلوا يرشقون « البيت الصغير » بالحجارة ويصبّون على الراهبات سيول الاهانات . فثارت الحميّة في صدر كوتولنكو فخرج اليهم يوماً وانتهرهم وقال : «مهلاً سيأتي يوم تتبدّل فيه هذه الرجاسات بقداسة وصلاح ، فان الله شيّد في هذا المكان منازل عظيمة ، فيها يمجّد اسمهُ القدّوس ليل نهار» وقد تحقّقت النبوءة بعد قليل من الزمان

ولم يمرّ على استئجار هذا البيت أيام . حتى اشترى كوتولنكو بيتاً آخر ، وجعل فيه

٢٥ سريراً، وكتب على بابه باحرف كبيرة: توكلوا عليه في كلّ حين (مزمور ٦١). وصار عدد المرضى والراهبات يزداد يوماً فيوماً، حتى اشتهى اولئك الاوباش الذين كانوا يرشقون «البيت الصغير» بالحجارة ان يكون لهم فيه سرير، وان يحصلوا على رغيف من ارغفة العناية الالهية. وتحوّلت احدى الحانات، التي كان يتردّد اليها العدد الاكبر من السكارى، الى مستشفى وكتب على بابه: انّ محبّة المسيح تضطرّنا (٢ قورنتية ٥: ١٤)

وكان رجل الله كلّما اشترى بيتاً أطلق عليه اسماً جديداً. واليك بعضاً من تلك الاسماء: بيت العناية، بيت الله، بيت السيدة، بيت لحم الخ.. اما هو فاتّخذ له غرفة في احد هذه البيوت دعاها «بيت الايمان». وكان لا بدّ للراهبات والمرضى من كنيسة. فلم يمض غير سنة حتى شيّد الطوبري معبداً لله

وكان كلّما لاموهُ في اكثاره من قبول المرضى والبائسين أجاب: «ان البيت الصغير» كبيرٌ كبير، ولسوف يتّسع حتى يصل الى شواطئ «نهر الدورا» واننا لواصلون اليه بعونة الله»

مضت الاشهر وتتابعت السنون، فاتّسع «البيت الصغير» وطال، وتفرّعت منازله حتى كادت تتاخم شاطئ نهر الدورا الآن الذكر. فكان البنيان فيه يلحق البنيان سنةً فسنة وهو الآن يسع بضعة آلاف. وقد كثُر بتعدُّد بيوته عدد المرضى اللاجئين اليه فاصبح فيه ٤٣ طبيباً يطبّبون مجّاناً ويقومون بخدمتهم على احدث منوال وأفخر طراز

واذا نظرت الى ذلك المستشفى المدعو باسم الام الحزينة (Addolorata)، وهو احدث بناء بُني في «البيت الصغير»، حسبتهُ قصراً شاهقاً. فهو مؤلف من ثلاث طبقات، فيه منامات واسعة يسعُ احدها ٧٠٠ سرير، وردهات عظيمة للصدورين والمبوئين وستّ ردهات لاجراء الاعمال الجراحية وغيرها. وما هذا سوى نعتٍ خارجي لاحد منازل «البيت الصغير». فهلمّ الآن ندخل فيه ونطّلع على جميع اجزائه

العائلات وطبقاتها في منازل وادي السهداء

اذا وصلت هذا الى البيت الصغير، رأيتهُ ينقسم الى محلّتين عظيمتين احداهما للاناث

والاخرى للذكور . وفي كلتا هاتين المحلتين اقسامٌ عديدة فيها السكان موزَّعون بحسب اختلاف أعمارهم وتنوُّع امراضهم وتغاير حاجاتهم الروحية والزمنية، وهم مقسَّمون الى ٢٤ عائلة منها ١٤ تحت ادارة الراهبات ، ومن هذه الاربع عشرة سبعُ عائلات تلزم اديارَها ولا تُفارقها اصلًا

فامشِ الآن في هذه الطرق والازقّة الطويلة احياناً والقصيرة اوقاتاً المتعرّجة تارةً يميناً وطوراً شمالًا ، فهي تستقبلك عند دخولك البيت الصغير ، وانظر الى اليمين واليسار فترى ابنيةً عديدة ، بينها القسم الطبّي والقسم الجراحي وبيوت العواجز والكسحان والسقّام والمختبلين والمخلّعين والمُقعَدين والجُدع والصُلم والجُذم الخ

وبعد ذلك ترى عائلةً اخرى تحت حماية القديس لويس ، وهي مؤلّفةٌ من اليتامى والأقطى ، واعمارُ هؤلاء من تسع الى اثنتي عشرة سنة ، ولهم راهبات يعتنين بهم ويثقّفنهم في مبادئ العلوم والمعارف ويعوّدنهم العيشة المسيحيّة الحقّة

واذا واصلتَ السير في شُعَب احدى تلك الطرق ، رأيت ايضاً محلًا آخر للبنات . وهؤلاء ايضاً تحت حماية القديس لويس يتعلّمن القراءة والكتابة والحساب ، ويتمرّنّ على الاعمال اليدويّة والفنية بالمرض ، فيكون منهنّ رئيسات بيوت

واذا ترعرع الفتيان وأنسوا من نفوسهم صوتاً يدعوهم الى خدمة الله ، فمكنهم ان يدخلوا مدرسة اكليريكيّة في البيت الصغير جُعلت تحت حماية القديس توما ، واذا تعلّموا احدى الصناعات في عائلة اخرى تُدعى عائلة القديس مبارك

واذا شبّ اولئك الفتيان ، وارادوا الرجوع الى اهلهم ، خرجوا وهم يشكرون فضل العناية الالهية التي أهّلتهم للحصول على مراكز بين الناس

أمّا عدد عائلة القديس لويس فيبلغ بضع مئات ، بينهم نحو من خمسين اكليريكيًّا . ومن هؤلاء الخمسين يُسامُ في كلّ عام كهنة يزيدون البيت الصغير حياةً وازدهاراً ، او ينصرفون الى اعمال الرسالة في الابرشيات وخدمة النفوس في الرعايا وقد ترقّى بعضهم الى مقام الاسقفيّة . وكثيرون منهم يعودون الى البيت الصغير اذا شاخوا ، فيقضون آخر حياتهم في هناء وصلاح

ثمّ ترى بعد ذلك اخوة القديس منصور ، وجميع هؤلاء الاخوة اشداء ذوو عافية وقد تخصّصوا بالاعمال التي تتطلّب سواعد قويّة . ولهم كسائر العائلات ساعة خاصّة

للسجود امام القربان ، أمّا عددهم فيزيد على ١٣٠ اخاً ، وتراهم ابداً فرحين بحالتهم الوضيعة

مأوى الصم والبكم

وبقرب هؤلاء ، روضةٌ أخرى ترى فيها اولاداً يلعبون ساكتين . واذا ابصروك رحّبوا بك ، واستقبلوك بتلك الابتسامة اللطيفة التي لا تبرح باديةً على شفاه جميع سكان البيت الصغير . لكنك لا تسمع من هؤلاء الاولاد عبارةَ السلام التي يردّدها جميع عائلات كوتولنكو وهي «الشكر لله» .. لان ألسنة هولاء الصغار لا تقوى على الكلام ، فجميعهم صُمٌّ بُكم . لكنّهم ولو كانوا من اقطار مختلفة ، تعلّموا ان يتفاهموا ويصلّوا ويتكلموا بتلك اللغة التي تشملهم جميعاً ، ألا وهي لغة الخُرسان اعني لغة الاشارة . وتراهم اذا حضروا اجتماعاً او دُعوا الى تمرين عامّ فهموا حالاً ما يُطلب منهم ، واندفعوا يعبّرون عن افكارهم باشارات مختلفة تدهش الناظر . وقد جُعلت هذه العائلة تحت رعاية ذلك المخلّص الحبيب ، الذي جعل الخُرس يتكلمون والصُمّ يسمعون ، وتحت حماية القديس يوحنا المعمدان الذي ارتكض فرحاً وهو في احشاء أمّه

المطاعم والمعامل والافران وبيوت الصنائع

وترى في احدى شُعب طرقك ، التي انت سائرٌ فيها ، نفقاً تحت قناطر عديدة ، فاذا دخلتهُ أوصلك الى ساحةٍ واسعة هي مَنْشرٌ للثياب . واذا واصلتَ السير الى جانب حائط السور ، شاهدت جمعاً غفيراً امام بناء كبير وعليهم ملابس بيضاء ، فاذا دنوت منهم رأيت ان ذلك البياض ناتجٌ عن غبار الطحين المتطاير ، وانك قد وصلت الى طواحين البيت الصغير . أمّا الاعمال هنا فكثيرة لكثرة آلات الطحن الكهربائية والبخارية ، وكلّها من احدث طراز ، وهم يطحنون فيها حاجة كل يوم في يومه

والى جانب هذا المكان محلٌّ آخر للعجن ، وثلاثة افران يعمل فيها خُرسان أشدّاء تُعينهم ايضاً عائلة العواجز والكُسْح ، ولا تزال بشائر المسرّة طافحةً من وجوههم ، وترى الخبز يخرج من ايديهم نظيفاً شهيّاً . ولمّا كان العملة في هذا المحل

كثيرين فلا يشتغلون الا ساعات قليلة ، فاذا انتهوا خرجوا ليرتاحوا في . . . الكنيسة

ولا يمكن ان تجد في البيت انساناً بطالاً ، فالجميع يعملون بقدر استطاعتهم ، فترى هنا رجلاً متقوع الرجل ينفخ بنفخ كبير ، وهناك مُقعَداً يخيط الثياب ، وغيرهما كثيرين يتعاونون بما بقي لهم من الاعضاء السليمة ، على التجليد والنجارة والحدادة وعمل الأحذية الخ

واذا احتاج البيت الصغير الى صنّاع ماهرين استقدمهم من الخارج ، واذا انتهى وقت الشغل ودقت الساعة ، ترك كلُّ ذي عمل عمله ، ونهضوا جميعاً للذهاب الى الكنيسة لأداء ساعة السجود ، فيكون عند ذلك مشهدٌ لطيفٌ مؤثر ، ترى فيه العميان وقد حملوا المُقعدين ، فتشاهد ظهوراً محنيّةً ، وقاماتٍ وقد طالت بنا على اكتافها من الاحمال الثقيلة ، فتنظر هذا يُسرع في مشيه ، وذاك يتهادى ، وذاك يدنف ، وغيرهم يكدح كدحاً ، وآخرين يعرجون ، وجميعهم متّجهون الى بيت ذلك الاله الذي يدعو الجميع اليه

دير المبرصين والمجانين

واذا واصلت السير وبعدت عن هذا المكان ، شاهدت بيتاً منقطعَ ابوابه ، فاذا أشرفت من احدى نوافذه ، رأيت على وجوه القوم الذين فيه ، تلك الابتسامة المعهودة ، ممزوجةً بعاطفة تشغل الفكر ، فانّ هؤلاء الساكنين قلّما يقربهم الناس ، وانّ اصحاب البيت الصغير لا يكادون ، مع جميع ما لهم من العناية والسهر ، أن يستطيعوا تهدئة هؤلاء المُبتلين بالصرع . وقد شاء كوتولنكو ان يكون فرشُ هذا البيت فاخراً ، ترويحاً لبال من هم فيه وتنزيهاً لخواطرهم

واذا جزتَ هذا المكان ، وخطوتَ بضع خطوات ، شاهدت بيتاً آخر يُدعى بيت لحم يسكنه ذوو العقول المريضة . والى جانب هذا البيت بيتٌ آخر ، للذين تشتدُّ بهم اعراض الجنون ، فاذا دنوت منهُ استقبلك صياحٌ وجلبة وضجيجٌ حتى انك لا تكاد تقف هنالك لحظةً ، بينما انك ترى الراهبات يقضين حياتهنَّ فيه

ولا يسع احداً أن يدعو هؤلاء بُلهاً أو مجانين ، مخافةَ أن يخالف الرقّة المرعيّة في جميع ارجاء البيت الصغير . فقد أطلق عليهم كوتولنكو لقب « المحرومين »

أما العناية التي تُبذل لإراحة هؤلاء «المجروسين» وتنظيفهم وإطعامهم، فيعجز القلم عن وصفها. وقد اتّصلت الراهبات، بأساليب اللطف والحنان الصبر، الى ان يخفّفن شيئاً من هياج اولئك المتوهين، وان يؤهّلنهم لتناول القربان الاقدس في بعض الاحوال

قال كوتولنكو: ان ما يعزّزُ البيت الصغير، ويحبّبهُ الى الله والناس، انما هو العناية بهؤلاء البُله، الذين تتنحّى الناس عنهم وطردوهم من منازلهم، فهؤلاء هم لنا بمثابة سفتجات (كمبيالات) على كرم العناية الالهية. لذلك كان كوتولنكو يعطف عليهم اشدّ العطف ويمازحهم ويُداعبهم

وحدث يوماً أن جاء مطران ڤرسيلّي (Vercelli) ليزور كوتولنكو، فطلبهُ فوجدهُ في ساحة «المجروسين»، يُلاعب بالكرة واحداً منهم اسمه دورو (Doro). وكان دورو هذا آخر وأحطّ انسانٍ في سكان البيت الصغير، لذلك كان كوتولنكو يحنو عليهِ حنوًّا خاصًّا، فاضطرّ المطران أن ينتظر نهاية اللعب، واخذ هو نفسهُ يقيّد بها علامات الغالب والمغلوب. وليث كوتولنكو يستعمل الحيلة ويُظهر الضعف في اللعب حتى غلبهُ دورو. فاستأذنهُ كوتولنكو اذ ذاك وانصرف مع المطران. ولمّا سُئل كوتولنكو عن ذلك قال: لم أجد من قلبي ان أقطع دور اللعب مخافة ان يغتمّ عزيزي دورو

وكان بين اولئك «المجروسين» رجلٌ زُعنفةٌ قصير او قل مسخاً وحشيًّا ليس لهُ رجلان، يزحف على الارض زحفاً وبعضٌ كالوحوش الآبدة وكان لا يُقنَعُ ولا ينقادُ لشيء. فتولّى كوتولنكو امر تدبيره فكان يلاطفهُ ويباسطهُ ويقدّم لهُ انواع الحلوى وما زال بهِ على هذا وذاك حتى ظهرت على وجه ذلك المسخ شارات الأُنس فصار يبتسم ويهشّ. وواصل كوتولنكو عنايته بتلميذهِ حتى صيّره شبيهاً بانسان

منازل النساء

اذ زرنا الآن أيها القارئ الكريم محلّة الرجال، واطّلعنا بقدر الامكان على حالاتهم المختلفة، ووقفنا على ضروب العناية بهم. فابتغي الآن الى محلّة النساء، وهذه غير قريبةٍ من هنا. فاذا بلغتَ اليها شاهدت جيشاً من اخوات القديس منصور، وبينهنّ

اخوات القديسة مرتا القائمات بشؤون المطبخ وخدمة المرضى في الخارج

اما عائلات النساء في هذه المحلة ، فأشبه بعائلات الرجال ، ولكن لما رأى كوتولنكو انّ عددهنّ يزداد ازديادًا عظيماً ارسل عددًا من الراهبات الى المدن والقرى وقال لهنّ : «اذهبنّ الى خدمة النفوس ، ومتى بلغتنّ سنّ الشيخوخة ترجعن الى البيت الصغير ، والسوف يدهشكنّ غزوه وازدهاره»

العاملات بالخياطة والغسل والطبخ

ثمّ ترى في هذه المحلة فتيات صغيرات ، تحت حماية القديسة جنفياف والقديس لويس ، وغيرهنّ تحت حماية مريم المجدلية ، وأخر تحت حماية القديسة كلارا ، وهؤلاء يعتنين بالخياطة واصلاح الثياب ، وبينهنّ راهبات متثقفات ، يقمنّ بشرح التعليم المسيحي ، ويرشدنّ النفوس لاقتبال القربان المقدّس ، الى غير ما هنالك من جمعيات الراهبات ، من مثل جمعيّة القديسة إليانه (S^te Eliane) ، اللواتي ينهضنّ بغسيل الثياب ، يتثمن هذه الخدمة الوضيعة وهنّ يرتلنّ طلبة السيدة بكل فرح ، وغيرهنّ ايضاً تحت رعاية الصليب المقدّس ، يعتنين بطيّ الثياب وترتيبها ،

وهذه الخدم جميعها تُتمّم بكلّ عناية وتدقيق

أما الاطعمة فتُعدُّ بكلّ سخاء ، وهي من أفخر وألذّ ما يؤكل . وقد طالما ردّد كوتولنكو على مسامع الراهبات هذه الكلمات وهي : حذار من التقتير في النفقات ، فان الله يُريد ان يعيش فقراء البيت الصغير عيش الهناء والسرور . وأننا في خدمتهم نخدم السيّد المسيح ، فالفقراء عندنا هم سادات هذا البيت ، فيجب ان يُعتنى بهم أقصى عناية ، حتى لا يجد احدٌ سبيلاً الى الشكوى . وتُقدّم لهم القهوة في كل صباح ، ممزوجة بحليب صرف لا أثر للماء فيه ، ولتكن الاثمار والحلويات من أفخر نوع ، واللحوم والخضر من اوّل طبقة ، فان الله الذي يحبّ هذا البيت الصغير ، يرى كلّ ما نعملُ فيه

أما كوتولنكو فكان يعيش عيشاً فقريًا شفافاً .

دير الصلاة والتوبة

وبين جمعيات الراهبات جمعية انشأها ايضاً كوتولنكو ، وديرُها على احدى

روابي كافورتو (Cavoretto) ودير آخر يُدعى دير الصلوات ، ففي هذين الديرين وغيرهما يُحفظ الصمت التام ، وتُمارس الاصوام والاماتات ، وتُقام الصلوات المتواترة من اجل راحة النفوس المطهرية ، تعويضاً عن فواحش الناس ، واستمطاراً للنعم الالهية على البيت الصغير وعلى العالم كلهِ

ومن اديار البيت الصغير ، ديرٌ للنساء اللواتي بعد أن خسرن العفاف والطهارة ، رجعن الى الله تائبات ، فهنّ في هذا الدير يمارسن ، بكل طيبة خاطر ، انواع الاصوام والاماتات ، ويواظبنَ على الصلوات تكفيراً عن حياتهنّ الماضية ، وتعويضاً عن النساء الخاطئات . وكان كوتولنكو قد انشأ هذا الدير في خارج البيت الصغير ، ثم نقلهُ اليهِ

دير الراهبات الخرس

ولا يسعنا السكوت عن ذكر ذلك الدير العجيب الفريد الذي طالما فكّر كوتولنكو فيهِ ، ووكلَ الى خلفهِ الاب انكليسيو (Anglesio) امرَ أنشائهِ ألا وهو دير البنات الخُرس . فان خادم الله كان يرى ، بين هؤلاء الخرس في البيت الصغير ، نفوساً تتوق الى حياة الكمال السامية ، وتشتهي ان تكون عرائس السيد المسيح . فتمّ انشاء هذا الدير في سنة ١٨٤٨ . ولهؤلاء الخرس ، نذور رهبانية كسائر الراهبات ، وهنّ يُقمن الصلوات على طريقة خاصّة مدهشة ، تحت حماية قلب مريم . فاذا انتهزتَ خُلسةً ، ونظرت من خلال ستارات النوافذ ، رأيت رؤوس هؤلاء الخرس محنيّةً ، تجللها براقع بيضاء طويلة ، والإبَر تلمع بين انامليهنّ ، وهنّ عاكفات على العمل يطرّزنَ الاقمشة الحريريّة والكتانيّة ، اللازمة للكنيسة وللملابس الكهنية . واليهنّ موكول امر العناية بتنظيف بيت الله ، فترى الكنيسة ومذابحها وجميع ما فيها يتلألأ نظافةً واتقاناً وفي الليل يسجدنَ ساعتين امام القربان ، فتحيط بهنّ ملائكة المذبح وتُصغي الى تلك الصلوات العجيبة التي تقيمها هؤلاء الخرس باشارات مُحكمة رقيقة تحيّر كلَّ ناظر

ومثل هذا الدير دير آخر منفردٌ لا تخرج الراهباتُ منهُ اصلاً وهنّ يشتغلنَ بالتطريز والتخريم ، وتسافر صلواتهنّ الى اقصى مكان في المعمور ، وتصل حتى الى مرسلي البلاد الافريقية ، حيث يوجد ايضاً عدد من راهبات البيت الصغير

الخاتمة

هذه هي خلاصة اعمال كوتولنكو ، ولولا ضيق المقام لذكرنا بعضاً من تلك العجائب الباهرة التي صنعها الله على يد عبده ، فيرى القراء انَّ من اتكل على الله لا يخيب

وافضل ما نختم به هذه المقالة كلمة تصف لنا الاعمال الروحية ، التي تقامُ في كنائس البيت الصغير

قال كوتولنكو : ان العناية الالهية لا تخرج من هذا البيت ، بشرط ان لا تدخله الخطيئة . وان دخلته فلا اعود أضمن بقاء العناية الالهية فيه

لذلك انشأ كوتولنكو في كلّ عائلة معبداً ، فضلاً عن الكنيسة الكبرى ، التي لا تزال الصلوات قائمةً فيها ليلَ نهار

فعند الساعة الرابعة والنصف من كلّ صباح ، ينهض الجميع من النوم ويتوجّهون الى الكنيسة الكبرى ، بكلّ خشوع ونظام ، وهم يرتّلون ويسبّحون . ويسير امام كل عائلة صليبها الخاصُّ بها . فيكون عدد المجتمعين لا اقلّ من خمسة آلاف شخص

وهذه الكنيسة لا تزال مزدانةً بأفخر الاواني وأعطر الازهار ، كأنها في عيد دائم . وفيها ثلاث باحات عظيمة : باحةٌ يُمنى للرجال ويُسرى للنساء ووُسطى للراهبات ، وهذه مفصولةٌ عن جارتَيها بشرفات عالية

فاذا دخلوا الكنيسة رتّلوا صلاة الروح القدس ، ثم يقفُ صبيٌّ صغير ، ويبدأ بصلاة الصبح قائلاً بصوت عالٍ : ليكن اسما يسوع ومريم ممجّدين الى الابد . فتجيب تلك الجماهير بهتافٍ واحد ، امتزجت فيه اصوات الرجال والنساء والفتيان والاحداث ويعيدون قائلين : ليكن اسما يسوع ومريم ممجّدَين الى الابد . ثم تُقام الذبيحة الالهيّة . وعند التناول يتقدّم اربعة كهنة ، ويوزّعون القربان الاقدس . اما المرضى فيحضرون الذبيحة في معابدهم الخاصّة ، ويزيد عدد المناولات اليوميّة على اربعة آلاف وخمسمائة

والى جانب هذه الكنيسة الكبيرة معبدٌ ملاصقٌ لها ، وقد كان هذا المعبد غرفة الكونت تولنكو . وعلى ذكر هذه الغرفة المباركة نقول :

كان لكوتولنكو طيرٌ كناريٌ ذو لونٍ جميل وصوت صدّاح، واذ كان رجل الله ساجداً ذات يوم امام صورة البتول، دُعي لبعض الاعمال المعجّلة فعزّ عليه ان يقطع تسبيحهُ فاتى بالكناري وجعلهُ امام البتول وقال لهُ: سبّح مكاني يا كنار

فاندفع الكنار يغرّد ويصدّح الى حين رجوعه. وقد أنسلّ هذا الطائر طيوراً كثيرة وهي لا تزال تتناسل مقيمةً في هذا المعبد. فاذا بلغ وقت التناول في الكنيسة الكبيرة الملاصقة لهذا المعبد، وسكتت الجماهير، اندفعت تلك الطيور تصدح باصواتها المطربة، فيخيّل اليك انك تسمع الحاناً سماوية

واذا انتهت الذبيحة الالهية، تناوبت العائلات على اقامة السجود للقربان من الصباح الى الساعة العاشرة ليلاً. وحينئذٍ تأتي الراهبات المتعبّدات، مع اللواتي كنّ يشتغلن في النهار، فيتعاقبن على السجود الى الساعة الرابعة والنصف صباحاً. وفوق صحن الخورس متخّتٌ الراهبات المحصّنات، يتناوبن على السجود الدائم

أمّا الاحتفالات البيعيّة العامّة فتقام بأبّهة عظيمة، ويحضرها جميع العائلات فيكون هناك مشهد مؤثر خاشع

لا [illegible] كان البيت الصغير، في جميع الصلوات التي يقيمونها ليل نهار الّا شيئاً واحداً وهو ان يُصيّرهم الله قديسين. ثمّ يشكرون للعناية الالهية صدقاتها الوافرة التي تُفيضها عليهم

وأمّا عبارة السلام التي تردّدها عائلات البيت الصغير الوف مرات في النهار فهي: الشكر لله

قال احد الكتّاب الافاضل: انّ البيت الصغير هو صورة اورشليم السماوية، حيث الفرح الدائم والسرور الذي لا ينقضي

*

﴿ حاشية للشرق ﴾ نضيف الى المقالة المثبتة السابقة انّ وفاة الكاهن كوتولنكو وقعت في ٣٠ نيسان سنة ١٨٤٢ كما كان هو سبق وأعلم بها كثيرين من اصحابه. وقد جرت بشفاعته في حياته وبعد موته عجائب وكرامات عديدة من ارتداد خطأة الى التوبة وتوفير اكياس دراهم وغلّات لقوت المساكين ونيوّات عديدة ومعرفة خفايا القلوب وشفاء مرضى الخ دفعت الكرسي الرسولي الى الاهتمام

بفحص سيرته وفضائله فامر البابا بيوس التاسع بمباشرة الدعوى لتطويبه في ١٩ حزيران ١٨٧٧ . وبعد ان ثبت الفاحصين سمو فضائله وصحة معجزاته نظم السعيد الذكر بندكتوس الخامس عشر اسمهُ في عداد الطوبويين وسمح باكرامه علانيةً ومن المنتظر ان سيئتهُ الحبر الاعظم في جملة القديسين فيعمم اكرامهُ في كل الكنيسة

ومما لم يُذكر في المقالة ما نالهُ كوتولنكو من الامتيازات مع الرغم من نفوره عنها . فان الملك شرل البر ملك سردينية خوَّلهُ الوسام الكبير المعروف بوسام القديسين موريس ولعازر ولولا خوفهُ من اهانة الملك لردَّ حامليه اليه خائبين وكذلك منحهُ البابا غريغوريوس السادس عشر مع براءة لطيفة نوطاً جميلاً باعهُ كوتولنكو خفيةً ليبتاع بهِ طحيناً للفقراء . ومثلها جمعيَّة باريس المدعوَّة مونتيون فرنكلين (Montyon-Franklin) بايعاز امير اورليان وهبتهُ النوط الشرفي الذي تخصصهُ باكبر المحسنين الى العالم فارسلته لهُ على يد ملك سردينية شرل البر فاتاهُ بهِ ابنهُ ڤكتور عمانويل الذي صار بعد ذلك ملكاً على ايطالية . فتنهَّد كوتولنكو صارخاً : « لواهُ متى يحوّل الناس عني نظرهم ويدَعوني في خمولي ؟ »

ومما يُعَدّ اليوم آيةً متَّصلة ثبات اعمال كوتولنكو بعدهُ منذ سنة وفاتهِ الى اليوم اعني نيفاً وثمانين سنة فهي باقية كما كانت بل نامية بشناعته وعناية تلامذته الذين يسيرون على آثارهِ ويجرون على قوانينهِ . فكل من يعاين تلك المشروعات الجبَّارية لا يتمالك من ان يصرخ قائلاً : انَّ هنا اصبعَ الله

شعراء النصرانيَّة بعد الاسلام

شعراء الدولة الاموية (تابع)

للاب لويس شيخو اليسوعي

١٠ القطامي التَّغْلبي

﴿اسمهُ ونسبهُ﴾ قال عبد الله بن سلَّام الجُمَحي في كتابهِ طبقات الشعراء